٩ الهلاك وأسبابه

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ

أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف :٩٦ ـ ١٠٠].

ومعنى قوله ﴿ بَأْسُنَا ﴾ : أي عذابنا ونكالنا.

ومعنى ﴿ بَيَٰتًا ﴾ أي ليلًا.

وهذا تهديد من الله عَزَّوَجَلَّ لأهل القرى بأن يأتيهم عذابه في حال النوم أو ضُحى في حال اللعب.

وهكذا الله عَزَّوَجَلَّ يهدد العصاة والمجرمين بالخسف في الأرض أوبإنزال العذاب عليهم من حيث لا يشعرون كما قال تبارك وتعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[النحل :٤٥ ـ ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام : ٦٥].

والله عَزَّوَجَلَّ قد أهلك كثيرًا من القرى من الأمم السابقة بسبب معاصيهم وتكذيبهم للرسل قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحج : ٤٥].

فهذه ثلاثة أشياء:

الأولى: ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ . أي على سقوفها بمعنى خربت منازلها وتعطلت حواضرها.

والثانية: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ أي لا يستقى منها ولا يرد أحد عليها بعد كثرة وارديها.

والثالثة: ﴿ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ أي حصين منيع مرتفع.

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء : ١٧].

وكم: هنا تفيد التكثير ، أي أهلك الله كثيرًا من الأمم.

وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص : ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم : ٩٨].

وأصل الهلاك في اللغة الموت كما قال الله تعالى: ﴿ ... إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ ... ﴾ [النساء : ١٧٦].

وقال تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية : ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا

جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [غافر : ٣٤].

والمراد بالهلاك هو ما ينزله الله بأعدائه من العذاب المستأصل كما قال الله : عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام : ٦].

وقد ورد الهلاك في القرآن الكريم بألفاظ وأساليب متنوعة وهذا من بلاغة القرآن الكريم:

فيأتي الهلاك بمعنى التدمير كما قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الفرقان : ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [محمد : ١٠].

ويأتي بمعنى التتبير مأخوذ من التبار وهو الهلاك قال تعالى:﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الفرقان : ٣٩].

ويأتي بمعنى التعذيب كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الطلاق : ٨].

ويأتي بمعنى الدمدمة كما في قوله تعالى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ [الشمس : ١٤].

ويأتي بمعنى القصم كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنبياء : ١١].

وأصل القصم التحطيم والهشم وهو عبارة عن الهلاك.

ويأتي بمعنى الانتقام ومنه قوله تعالى : ﴿ ... فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم : ٤٧].

ويأتي بمعنى الذهاب ومنه قوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [فاطر : ١٦].

أيها المسلمون: أما آن لنا أن نتعظ ونعتبر بما قصه الله علينا عن الأمم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من النقم فأين القلوب التي بها نعقل وأين الآذان التي بها نسمع قال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج : ٤٦].

ولكن للأسف الشديد ربما أصبح بعض الناس لا تؤثر فيه موعظة ولا ذكرى لا ينتفع بسمعه ولا ببصره ولا بقلبه كما جرى لعاد ـ قوم هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحقاف : ٢٧] .

وأعظم سبب لهلاك الأمة ودمارها الذنوب والمعاصي ، فالذنوب والمعاصي سبب لنزول البلايا والرزايا ، والمحن والفتن ، والكوارث والأمراض ، والعقوبات والمصيبات.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن آثار المعاصي: اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة

وذهبت البركات ، وقلت الخيرات ، وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة ، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش ، وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه ، فاعتزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة ، وبابها مفتوح ، وكأنكم بالباب وقد أغلق ، وبالرهن وقد غلق ، وبالجناح وقد علق وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. (١)

وأعظم تلك الذنوب وأكبرها عند الله الشرك بالله كما في الصحيحين(٢) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟، قال: [**أن تجعل لله ندا وهوخلقك**] . قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي؟، قال: [**وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**] . قلت: ثم أي ؟، قال: [**أن تزاني حليلة جارك**].

وقد أنزل الله بأسه وبطشه على القوم الكافرين بسبب وقوعهم في الشرك بالله تعالى قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام : ٦].

وقال تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

---

(١) فوائد الفوائد ص (٤٤١).
(٢) البخاري برقم (٤٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠].

وفي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: [**اجتنبوا السبع الموبقات**] . قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال: [**الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**].

ومعنى الموبقات: أي المهلكات.

كما أن كثرة الوقوع في الفسق والمجون والعهر والفجور من أعظم أسباب دمار الأمة وعذابها ففي الصحيحين [٢] عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: [**نعم،إذا كثر الخبث**].

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : [إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات] رواه البخاري[٣]

يا عباد الله :

إن المعاصي سبب لحرمان الرزق وسبب لحصول الخسف والزلازل والأمراض وغلاء الأسعار وتأخر نزول الأمطار وما أجمل تلك الكلمات التي قالها ابن عطاء الله رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: قال: من أنفق عافيته وصحته في معصية الله فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار ، فاشترى بها حيات

(١) البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).
(٢) البخاري برقم (٣٣٤٦) ومسلم برقم (٢٨٨٠).
(٣) البخاري برقم (٦٤٩٢).

وعقارب ، وجعلها من حوله تلدغه هذه مرة ، وتلسعه هذه أخرى ، أفما تقتله.

وقال أيضًا: إياك والمعصية ، فقد تكون سببًا لتوقف الرزق.

ورحم الله من قال:

إذا لم تصن عرضًا ولم تخض خالقًا وتستح مخلوقًا فما شئت فاصنع

اللهم إنا نسألك الخيرات وملازمة الطاعات ، وترك المنكرات وهجر السيئات ، وأن تغفر لنا الخطاء والزلات ، وأن ترحمنا برحمتك الواسعة يا رب الأرض والسماوات ، والحمد لله رب العالمين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ومذل من أضاع أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وعظموا أمره وأمر رسوله ﷺ واجتنبوا ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ واعلموا أنه ليس من شر في العالم إلا وسببه الذنوب والمعاصي ولا خير في العالم إلا وسببه طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ لذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٠].

إخوة الإيمان والإسلام: احمدوا الله عَزَّوَجَلَّ الذي منَّ عليكم بهذا الدين العظيم ، وهداكم إليه وجنبكم الكفر فإن الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ من أعظم أسباب الهلاك كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الرعد : ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر :٨٤ ـ ٨٥].

وإن من أعظم أسباب الهلاك أيضًا الظلم قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف : ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[إبراهيم: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود : ١٠٢].

وفي الصحيحين (١) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : [إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته] قال : ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

ومن أسباب الهلاك أيضًا: الاستكبار عن الحق قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المؤمنون :٤٥ـ٤٨].

ومن أسباب الهلاك أيضًا: الاستهزاء بالرسل وبما جاءوا به من الدين العظيم كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الزخرف :٦ـ٨].

ومن أسباب الهلاك أيضًا: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤ ـ ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود :١١٦ ـ ١١٧].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال: [**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لوأنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعًا**]. (١)

ومن أسباب الهلاك أيضًا: الكفر بالنعم كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [القصص : ٥٨].

ومعنى ﴿ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ ﴾ أي طغوا في نعمة الله فأهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ

(١) البخاري برقم (٢٤٩٣).

وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [النحل :١١٢ ـ ١١٣].

ومن أسباب الهلاك أيضًا: ما ثبت عند الطبراني [١] وغيره عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: [**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء، وثلاث منجيات: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفاقة، ومخافة الله في السر والعلانية**].

قال الإمام السعدي رحمه الله: [٢] وأما الثلاث المهلكات فأولها هوىً متبع قال الله تعالى: ﴿ ... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [القصص : ٥٠] ، فإن الهوى يهوي بصاحبه إلى أسفل الدركات وبالهوى تندفع النفوس إلى الشهوات الضارة المهلكات.

وأما الشح المطاع فقد أحضرت النفوس شحها قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦].

ومن انقاد لشحه فأولئك هم الخاسرون، فإن الشح يحمل على البخل ومنع الحقوق، ويدعوإلى الضرر والقطيعة والعقوق أمر الشح أهله بالقطيعة فقطعوا، ودعاهم إلى منع الحقوق الواجبة فامتثلوا، وأغراهم بالمعاملات السيئة من البخس والغش والربا ففعلوا، فهو يدعوإلى كل خُلق رذيل، وينهى عن كل خلق جميل.

وأما إعجاب المرء بنفسه، فإنه من أعظم المهلكات وفظائع الأمور، فإن العجب باب إلى الكبر والزهو والغرور ووسيلة إلى الفخر والخيلاء

---

(١) الطبراني في الأوسط برقم (٥٤٥٢) والصحيحة برقم (١٨٠٢).
(٢) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية ص (١٤١).

واحتقار الخلق ، الذي هو من أعظم الشرور ، فهذه الثلاث الهوى المتبع والشح المطاع والإعجاب بالنفس من جمعها فهو من الهالكين ، ومن اتصف بها فقد باء بغضب من الله واستحق العذاب المهين ، فطوبى لمن كان هواه تبعًا لمراضي الله ، وطوبى لمن وقي شح نفسه فكان من المفلحين وعرف نفسه حقيقتها فتواضع للخلق ، وخفض جناحه للمؤمنين.

اللهم اغفر زلاتنا ، وأقل عثراتنا ، وجُد علينا بالعفووالمغفرة ، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين ، دمرهم تدميرًا ، والعنهم لعنًا كبيرًا، اللهم لا ترفع لهم في الأرض راية ، واجعلهم لسائر خلقك عبرة وآية.

اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه ، وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين.